

مسرح الطفل ورهانات التنشئة الاجتماعية والثقافية من خلال مسرحية "سليمة والقلق"

Children's Theater And The Challenges Of Social And Cultural Education

Through "Salima And The Stork" Play

الدكتورة إيمان الصامت عروس

معهد الموسيقى والمسرح الكاف بتونس (تونس)، (imen3rouss@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2023/05/25 ؛ تاريخ القبول : 2023/07/15 ؛ تاريخ النشر : 2023/12/20

Abstract

المخلص

Through the educational dimension of theater, social education deepens in the psychological system of the child as a coalition project that accompanies the path of his life, considering that the process of education and preparation of the child, and the refinement of his talents and his intellectual, cognitive, social and psychological rehabilitation does not stop at a certain stage, but rather the child needs continuous socialization according to the changing stages of growth he experiences and the conditions in which he lives. Children's theater seeks to promote imagination and memory in the child's social learning system by storing actions and words that appear in the axis of imitation from everyday practices, considering that what the child acquires is only a symbolic representation of action patterns and what he learns is stored in memory to be used as a guide in future behavior. The child is characterized by the motivation that urges him to learn sustainably from society and art, and to strive to discover the learning intention that is inhabited by the permanent movement of reality and psychological convulsions. and behavior of the individual, so that the child contributes to his education by his integration in the system of action and theatrical reception. As a practical approach, we will analyze a Tunisian theatrical work entitled "Salima and the stork", text by Bachir Bouali, directed by Mohamed Saleh Arous, the scenography is carried out by Imen Samet, produced by the Center for Dramatic and Scenic Art, Beja, with the support of the Tunisian Ministry of Culture 2022. This piece asks the question about family relationships, customs and social traditions in an educational design directed towards children and young audiences, to transmit these customs and traditions in an evolutionary and sustainable way that affirms their role in the development. sensory, mental and moral, while recovering the basic ideas of this tangible and intangible visual heritage and encouraging the child to think of it as a creative path of action through an artistic revision of the system of cultural and heritage consumption that has been absent from the children of today.

عبر البعد التربوي للمسرح، يخلو للتنشئة الاجتماعية والثقافية الغوص في أغوار النفس والنفوذ إلى الجهاز النفسي للطفل بكل تجلياته كمشروع اثلافي يرافق مسار حياته باعتبار أن عملية تنشئة وإعداد الطفل وصقل مواهبه وتأهيله فكريا ومعرفيا واجتماعيا ونفسيا لا تتوقف عند مرحلة معينة بل إن الطفل في حاجة إلى التنشئة الاجتماعية المتواصلة المستمرة والمتصلة تبعا لتغير مراحل النمو التي يمر بها و تبعا لتغير الظروف التي يعايشها. ويسعى مسرح الطفل لتزكية الخيال والذاكرة في منظومة التعلم الاجتماعي عند الطفل بتخزين الأفعال والأقوال التي تظهر ضمن الممارسات اليومية باعتبار أن ما يكتسبه الطفل ما هو إلا تمثيل رمزي لنماذج الأفعال وما يتعلمه يخزن في الذاكرة لكي يستخدم كمرشد أو موجه في السلوك المستقبلي. فالطفل يتسم بالدافعية التي تحفزه على التعلم المستديم من المجتمع ومن الفن وبذل الجهد في الاكتشاف بقصدية التعلم التي تستكنه حركة الواقع الدائمة و اختلاجات الفرد النفسية و السلوكية ليسهم الطفل في تنشئة نفسه عبر اندماجه داخل منظومة الفعل والتلقي المسرحي. وكمقاربة ممارسية سنستحضر عملا مسرحيا تونسيا بعنوان "سليمة والقلق" نص بشير بوعلي إخراج محمد الصالح عروس سينوغرافيا إيمان الصامت انتاج مركز الفنون الدرامية والركحية باجة بدعم من وزارة الثقافة التونسية 2022. حيث تطرح المسرحية مسألة العلاقات الأسرية والرجوع إلى العادات والتقاليد الاجتماعية ضمن تصوّر بيداغوجي موجه للطفل والناشئة، لتنصهر في داخله العادات والتقاليد ويتناقلها بشكل تطوري ومستديم إضافة إلى ما تلعبه من دور متجذر في النمو الحسي والعقلي والأخلاقي على نطاق ذهني و حيوي ، وذلك من خلال استرجاع الأفكار الأساسية لهذا الموروث البصري المادي واللامادي ودفع الطفل للتفكير فيه كمسار للفعل الابداعي من خلال مراجعة فنية لمنظومة الاستهلاك الثقافي والتراثي التي غابت عن أطفال اليوم.

Keywords : Children's theater - socialization - cultural upbringing

كلمات مفتاحية: مسرح الطفل - التنشئة الاجتماعية - الثقافية

1. مقدمة:

يشكل مسرح الطفل مادة خصبة ينهل منها الفرد والمجتمع تعلمات وتجارب ومعارف تؤثر على الذات الفردية في تكوينها وبناء شخصيتها وعلى الذات الجماعية كإنتماء ومقاربات تضمن التعلم المتنوع وتنمية القدرات والقيم حيث يوطد وجود المسرح في الحياة الجماعية العلاقات داخل المجتمع ويصحح تدرج مسار الانتماء الجماعي. فمسرح الطفل يعمل على تشكيل وتنمية الجوانب الوجدانية والفكرية والثقافية وفقا لما تقتضيه الدلالة والرؤية الفنية، لتتطلق من حاجات الفرد نحو متطلبات المجموعة، التي تسمح من خلال الموازنة بين ما هو نفعي وما هو جمالي، بتحقيق التنشئة الاجتماعية والثقافية ضمن مقاربات علائقية تربط بين الفرد ومحيطه إنتماء وتفاعلا، وتحول الفرجة والمشاركة إلى عناصر للتنمية البشرية التي تتيح للطفل التعبير عن فرديته وأصالته، بالإفادة المعرفية، التي تتوخى غرس القيم الخلقية والتعليمية كسبيل لممارسة تأويل نقدي لنظريات الوعي الجمالي التي تتطلق من الخصوصيات النفسية للطفل نحو حاجاته الاجتماعية.

فالعمل المسرحي بقدر ما يسعى إلى المحافظة على طابعه الفني والجمالي، بقدر ما يساهم في دعم النشاط الحسي والفكري الذي يجمع بين المتعة والإفادة كمجالات قابلة للانفتاح وتحقيق التكامل، ليسمح ببلورة المكانة الذاتية والاجتماعية التي تمكن الطفل من أن يكون ممثلا وممثلا لذاته وحياته وإنتمائه، بغاية إحرار الافضلية والتميز الذاتي والجماعي ، لهذا حاولنا التركيز على التنشئة الاجتماعية والثقافية لمسرح الطفل كمحفز ينطلق من الفني ليغوص في أعماق الواقع الاجتماعي بمختلف تفاعلاته وعلاقاته التي تبني أسس الانتماء داخل المجموعة وتؤثر في بناء شخصية الفرد منذ الطفولة.

2- الإشكالية:

كيف للمسرح كفاعل تشاركي ثقافي واجتماعي أن يحمل توجهات تفكير للعالم وللطفل كجيل للمستقبل، وما هي رهاناته السلوكية والفكرية والذهنية والنفسية وتأثيرها على التنشئة الاجتماعية والثقافية بالرجوع الى مسرحية سليمة للقلق كنموذج.

3- الأهمية العلمية:

التطرق إلى أهمية الممارسة المسرحية الموجهة للطفل كرهان للتنشئة الاجتماعية والثقافية في ظل ما خلفته الرقمنة والعولمة من تجميد للعقول وهيمنة على الخيال، ودرها في العودة بالطفل الى واقعه الاجتماعي والثقافي والتشبث بالعادات التي تبني هويته الذاتية والجماعية.

4-الأهداف:

أهمية الطفل كعنصر فعال في بناء مجتمع المستقبل، ودور المسرح في الرقي بشخصية الطفل وتنمية خياله وربط صلته بواقعه الثقافي والاجتماعي بالرجوع إلى نموذج مسرحي راهن نجمع فيه بين التنظير والممارسة ورصد أهم التأثيرات التي يحدثها العرض في عملية التلقي وتفاعل الطفل مع المحتوى الفكري والاجتماعي والثقافي للعمل.

5- منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي ينطلق من التنشئة الاجتماعية والثقافية كمجال عام وربطه بمسرح الطفل من خلال تحليل عرض مسرحي موجه للأطفال بعنوان سليمة والقلق واستعراض مختلف المقاربات الجمالية والنظرية التي تساهم في تحقيق التنشئة الاجتماعية والثقافية للطفل.

6-جسد البحث:

6-1- مسرح الطفل بين الظاهرة الجمالية والرهانات الاجتماعية:

يحمل مسرح الطفل في طياته فعلا انسانيا اجتماعيا يقتحم الفضاء الواقعي المعيش والفضاء الرمزي التخيلي لبناء المعرفة للطفل والناشئة ضمن تسلسل منطقي يراعي أفق التلقي الفكري والعاطفي، باعتبار أن "تنمية الوعي الجمالي كطاقة والعمل على فاعليته مع بقية الملكات يعمل على تنشئة مواطن مبدع في مجاله الخاص" (ابراهيم، 2002) ، فالمسرح يلعب دوراً هاماً في تحديد خلجات المتلقي الشعورية والفكرية والمعرفية وتلبية احتياجاته الجمالية، باعتباره انعكاسا للواقع الاجتماعي، كما يساهم في تأكيد الدور الثقافي والفكري والاجتماعي للطفل ويعمل على إرشاده للتنشئة الاجتماعية السليمة حتى يعانق أغوار نفس الطفل و هياكله الذهنية السيكلوجية والحسية من الفعلية الرامزة الى التفاعل الاجتماعي المباشر كآلية لنحت الكيان.

فالطفل هو عصاره تجربة حياتية نفسية واجتماعية، ويعتبر المسرح هو الناقل لهذه التجربة ليفتح للطفل أفق الاصغاء والتمعن والتركيز والانتباه والتحاور والنقاش بما يكتسبه من ألفاظ و مفردات كلامية ووصفية وحركية وبصرية يوظفها للتعبير عن ذاته لتثري خياله الجمالي وتؤسس واقعه وتفاعله الاجتماعي باعتبار أن الوعي الجمالي لا ينفصل عن الوعي بالواقع بشكل عام، فالقيمة الجمالية للعمل المسرحي هي "قيمة ثرية متسعة المجال، متعددة الخصائص والسمات كثيرة الارتباطات فهي ترتبط بالتراث وبالوعي الجمعي وبالمستوى الثقافي وبالمناخ الاجتماعي والنضج النفسي" (ابراهيم، 2002، الصفحات 15-16)، لتتكون للطفل شخصية فصيحة تعبر عن ذاته وعن حاجاته كهوية مستقلة قادرة على الاستفادة والتفاعل مع العموميات الثقافية و العادات الاجتماعية التي يمكن أن يلامسها العرض المسرحي.

ينبني العمل المسرحي على منطلقات معرفية وسيكولوجية وثقافية تغوص في مسارب الذات الإنسانية داخل حراك اجتماعي يختزن الوجود بأسره في صلب ملامح التغيير والتجديد لينحت بفعل العبر والأهداف التي يسعى لترسيخها وجوده الفني الخاص ضمن تراكيب فنية متنوعة تتكامل في ما بينها لتشكيل رؤية جمالية تحفز الفكر والعقل والحواس إلى الارتقاء بالذوق العام، فالطفل "يتعرف الى العالم حوله من خلال وقع الجمال عليه" (ابراهيم، 2002، صفحة 16) ، وبالتالي فإن جمالية العمل المسرحي لا تتحقق إلا في شموليته الجمالية والفكرية والدلالية وفي قدرته على التأثير نفسيا وسلوكيا واجتماعيا في المتلقي. فمسرح الطفل يكتسب دورا هاما في تنشئة الفرد و"اتاحة الفرصة للطفل كي يلتقط خيط الحياة في مجتمعه" (ابراهيم، 2002، صفحة 28)، لتشكيل شخصيته، وتفجير طاقاته الإبداعية وتحقيق انضباطه السلوكي وفق مقاربات توليدية راهنت على التفاعل بين الجمالي والاجتماعي لإكساب المتلقي زادا معرفيا للفهم والتعمق والتحليل من خلال القوة الإقناعية والتخليبية التي تراوح بين المتعة الجمالية والبعد التثقيفي ليصبح بمثابة الاستنطاق التأولي للعرض لخلق المعنى والإبداع التفكيرى وتحقيق الإفادة النفعية التي تتوخى غرس القيم الخُلقية والتعليمية.

لذلك تعتبر عروض مسرح الطفل من الرهانات الاجتماعية التي تسعى إلى التوعية والتثقيف والترفيه، لترفع قدرة الطفل على التعامل مع ذاته ومع محيطه وليكون "جزء من عملية تربية تهدف إلى تحريض خيال الطفل و تنمية مواهبه" (إلياس، 1971) ووسيلة تنشئة ترقي بفكره و تطور ذاته

وتساهم في بناء شخصية مبدعة خلاقة لا تتابع الجديد فقط بل تؤثر فيه و تخلق لنفسها خطوة في عالم الإبداع، لأنه "ليس علينا أن نجعل البشر أذكاء فهم يخلقون كذلك و كل ما علينا أن نفعله هو التوقف عن ممارسة ما يجعلهم أغبياء" (جون، 2015) وما يحد من نحت كيانه على مستوى جوانبهم الشعورية و القيمية و التربوية.

فالمسرح يسعى إلى تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد من خلال خلق سجل فني ابداعي يتماشى مع متطلبات التجربة الانسانية في مجتمعنا الحالي، لذلك يعمل على تعميق الفعل الاندماجي والتطوري داخل المجتمع وفق متتاليات سلوكية تعمق الفعل الانساني وتجدد تفاعله باعتبار أن المسرح بطبعه متجدد في أهدافه وغاياته ووسائله، فهو يعطي الفرصة للمتلقي أو الممثل لخوض تجارب اجتماعية ومعايشة مواقف حياتية والتعامل معها بحكمة واستقلالية "من خلال العروض و ما تتخللها من أفكار ومواضيع اجتماعية زاخرة بالمعنى والحكم والقيم الاجتماعية التي يسعى إلى ترسيخها في أذهان المشاهدين" (مغلي، 2008) فيعمل على إكساب المشاهد الصغير صفات اخلاقية وسلوكية ترسخ قيم التعاون والانفتاح الفني والثقافي والاجتماعي على الآخر ليعتبر "وسيلة جديدة لإيصال تجارب الحياة و خبراتها بأسلوب مسرحي مرح" (قشوة، 2006).

6-2- مسرح الطفل والتنشئة الاجتماعية والثقافية

"ان المجتمع يهدف الى احداث تأثير بل تشكيل، لسلوك أعضائه الصغار ومشاعرهم واتجاهاتهم ، فيطبع فيهم ما يراه لازما لاستمرار بقاءه، وما هذا إلا عملية التنشئة الاجتماعية" (فهد، 1991) حيث تسعى الثقافة الفنية الحديثة، إلى مراعاة متطلبات المجتمع و تطوره و ربط الحاضر بالماضي حتى يتفاعل الفني مع الثقافي والاجتماعي وصولا إلى التنشئة الاجتماعية كجزء من الحياة الذاتية والاجتماعية وكفعل ديناميكي متحول يربط بين تغيرات الواقع والفعل الابداعي ضمن رهان جمالي يعكس منحى احتفاليا بالواقع وبالحياة داخل المجتمع وداخل جذور الفرد بمعايير ومراجعياته فتجتمع عناصره وهواجسه المتباعدة في علاقات تخلق وحدة منتظمة متجددة، تجمع بين الظاهرة الإستيتيقية وديناميكية الظاهرة الواقعية فالتعلمات والمعارف التي يكتسبها الفرد عند تلقي أو ممارسة الفعل الفني هي في حد ذاتها مرتبطة بالتربية ف"عندما نتحدث عن التنشئة الاجتماعية، فنحن نتحدث عن تنشئة، أو تربية الانسان ككائن حي" (فهد، 1991، صفحة 18) .

وبالرجوع إلى مختلف الأهداف والأبعاد التي تلامس شخصية الطفل سواء كانت جمالية أو تربوية أو سيكولوجية أو اجتماعية، تسقط الحواجز وتتضاءل المسافات بين الذاتي والموضوعي و الآني والماضي في رؤية جامعة ضمن مقاربة تربوية تعليمية يكون فيها المسرح علامة تربوية على الهوية التي "تحيل في عموميتها على التنشئة الاجتماعية والتدريب الفكري والأخلاقي و خاصة عن طريق التلقين المنظم والمستمر" (بدوي، 1996)، حيث يسعى الفعل والتفاعل الفني والاجتماعي إلى تشكيل ملامح الطفل وذاتيته الفردية والجماعية في خطاب يجمع بين الشمولي والتفصيلي، من منطلق أن كل ما يعيشه الطفل في جل أطوار طفولته و مراهقته هو نتاج للتنشئة الاجتماعية لتأسيس مبدأ قبول الذات داخل مجتمعه عبر تعزيز قوام الانتماء و فلسفة الجماعة وفق معادل رمزي لمختلف مظاهر التعاون الاجتماعي والتبادل الثقافي بين الماضي والحاضر والمستقبل.

فالمسرح كممارسة وكفرجة هو رهان أساسي يرتد وميضه إلى تخوم التنشئة في بعدها الثقافي والاجتماعي كلمحة عن الحياة الذاتية و كفعل ديناميكي متحول، يخضع لقاعدة الاختلاف بين العالم الخارجي والعالم الداخلي، "فالمخرجات النهائية لهذه العملية هو ذلك الراشد الذي امتلك خبرات واسعة في مجال المعرفة والقيم والمعايير والاتجاهات، المدرك لمسؤوليته الاجتماعية وقيم مجتمعه والملتزم بهما" (فهد، 1991، صفحة 18) ليكتسب بذلك رهانا جماليا وفنيا يعكس منحى احتقاليا بالحياة داخل المجتمع وداخل جذور الفرد بمعاييره ومرجعياته، فالمسرح تتداخل فيه إيقاعات الفكر والفعل في علاقات فريدة تذيب التنافر وتخلق الوحدة ليس من خلال الظاهرة الاستيعابية وحدها بل من خلال المسرح كممارسة وكفرجة ديناميكية وكظاهرة اجتماعية سيكولوجية.

فالتنشئة الاجتماعية هي "عملية نمو يتحول من خلالها الطفل من كائن بيولوجي يعتمد على غيره، متمركز حول ذاته، لا يهدف في حياته الا اشباع حاجاته الفيزيولوجية إلى فرد راشد اجتماعيا " (فهد، 1991). وبالرجوع إلى البعد التربوي للمسرح، يحلو للتنشئة الاجتماعية الغوص في أغوار النفس والنفاذ إلى الجهاز النفسي للطفل بكل تجلياته كمشروع اثتلافي يرافق مسار حياته باعتبار أن عملية تنشئة وإعداد الطفل نفسيا وفكريا واجتماعيا لا تتوقف عند مرحلة معينة بل إن الطفل في حاجة إلى التنشئة الاجتماعية المتواصلة تبعا لتغير مراحل نموه ولتطور شخصيته وكيانه النفسي

والاجتماعي. هذه الحاجة هي محرك الوعي الجمالي في الواقع الاجتماعي الذي يشكل الطاقة الدافعة لتناغم ملكات الطفل حسا وتصورا.

فالمسرح يسعى لتزكية الخيال والذاكرة في منظومة التعلم الاجتماعي عند الطفل باعتبار أن ما يكتسبه وما يخزنه الطفل ما هو إلا تمثيل رمزي لنماذج الأفعال والأقوال، وما يتعلمه يختزن في الذاكرة لكي يستخدم كمرشد أو موجه في السلوك المستقبلي، فتعامل الطفل مع العمل الفني عموما يكتسب نوعا من المداعبة بما هي "ذلك السلوك الحركي الذي يقترّب به الطفل من الأشياء ومن ثم من العالم الخارجي، ليأنس إليها ويفهمها وينفتح عليها ثم ينفث على ذاته من خلالها" (ابراهيم، 2002، صفحة 52) فالطفل يتسم بالدافعية التي تحفزه على التعلم المستديم من المجتمع ومن الفن وبذل الجهد في الاكتشاف بقصدية التعلم التي تستكنه حركة الواقع الدائمة و اختلاجات الفرد النفسية والسلوكية ليسهم الطفل في تنشئة نفسه عبر اندماجه داخل منظومة الفعل والتلقي المسرحي. حيث يحيلنا العرض المسرحي الى نوع من الثقافة التكوينية التي تنقل المعرفة بين ثنايا المتعة الفرجوية .

تعد التنشئة الثقافية والاجتماعية للأطفال من أهم الأساسيات الفعالة في بناء مجتمع حضاري متطور على جميع المجالات والنواحي الاجتماعية والأخلاقية والفكرية. وتلعب الثقافة دورا متجذرا في تكوين شخصية الطفل لتجمع في خضمها عناصر متباعدة في علاقات فريدة ومتجددة تمنح نوعا من الإستقلالية، فالثقافة " هي التي تمكن الفرد المثقف من أن يتأقلم ويستوعب ويفهم ويدمج كل ألوان المعرفة في ثقافته الخاصة" (حاجي، تاريخ الفكر البيداغوجي، 2000) فتقافة الطفل هي ثقافة مكتسبة من الواقع ومن المجتمع و"هي كل ما يتلقاه من بيئته فهي تبدأ قبل ولادته لأنها وثيقة الصلة بثقافة الوالدين وثقافة المكان والزمان اللذين يستقبلانه" (حاجي، 2000، صفحة 57) لتحضر كتدفقات انفعالية تجسد وتشكل شخصيته الفردية والاجتماعية ومدى حضوره وتفاعله مع المجتمع باعتباره مدرسة حياتية تحقق له التعايش الناجح والتكيف مع حياته العملية والشخصية، وتساهم في اكسابه واملاكه لمهارات حياته تجعله يتواصل مع الآخرين ويتفاعل معهم. فالطفل "لا يمكن أن تتوقف عملية تنشئته و إعداده و صقله وتأهيله عند مرحلة معينة بل هو في حاجة إلى التنشئة الاجتماعية المتواصلة المستمرة و المتصلة تبعا لتغير مراحل النمو التي يمر بها و تبعا لتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعيش في وسطها " (قاموس، 1958).

6-3- التنشئة الاجتماعية والثقافية وتمظهراتها في مسرحية "سليمة والقلق":

6-3-1- المقاربة الجمالية والبيداغوجية للمسرحية

6-3-1-1- تقديم العمل

مسرحية « سليمة والقلق » هي عمل درامي يحمل منظومة من القيم التربوية والأخلاقية والتعليمية التي تساهم في تنمية الطفل فكريا واجتماعيا وتراثيا على نحو نابض بالحياة من خلال الجمع بين شخصيات واقعية وشخصيات خيالية رمزية يتشاركون الرؤى والأحداث. يندرج هذا العمل ضمن تصوّر بيداغوجي موجه للطفل والناشئة، حيث يتم الإحياء فيه لقصص من التراث المحلي والعالمي، ففكرة هذا العمل هي عبارة عن تجميع شعري لنصوص وحكايات شعبية تونسية وعالمية ، ضمن تصوّر يذكّر الطفل بمعاني هذه الحكايات وأهدافها، وذلك من خلال استرجاع الأفكار الأساسية لهذا الموروث البصري والمادي ودفعه للتفكير فيه كمسار للفعل الابداعي وتحقيق التفاعل الاجتماعي، فهذا العمل هو مراجعة فنية لمنظومة الاستهلاك الثقافي والتراثي التي غابت عن أطفال اليوم. وقد تم تأطير العمل في نص من تأليف الأستاذ بشير بوعلي عن فكرة للأستاذة فيكتوريا أوخريتسكا جبري، وقام بإخراجه الأستاذ الجامعي المختص في مسرح الطفل محمد الصالح عروس، وهو من انتاج مركز الفنون الدرامية والركحية بباجة 2021. شارك في التمثيل ثلة من أساتذة المسرح، يثرب حفصي، محمد الهميسي، هيام نصري، هيثم جرايدي، فاتن ماجري، ماهر التواتي، هيفاء طويهرى. كورغرافيا حافظ زليط، موسقى يسري اليحياوي. وقد كانت مشاركتنا في هذا العرض على مستوى تصميم وانجاز السينوغرافيا، بما فيها من ديكور وملابس وعرائس.



المعلقة الاشهارية لمسرحية سليمة والقلق

6-3-1-2-الفكرة العامة للعمل

تسعى سليمة لاسترجاع أخيها سليم الذي أخذه القلق وطار به بعيدا نحو الجبال الباردة، بعد أن تركته وحيدا وذهبت للعب مع صديقاتها، لتخوض رحلة مطاردة تكشف لنا من خلالها أهمية العائلة كحضن اجتماعي، وأهمية التعاون والموازة كضرورة اجتماعية إضافة إلى التطرق من خلال رحلة البحث عن أخيها إلى ثقافة المجتمع والنمط الحياتي للجهة الفلاحية التي ينتمي إليها أبطالنا...لنتذكر معهم عملية تجميع الزيتون بالطريقة التقليدية...و نتوقف عند طريقة صناعة الزبدة باستعمال الشكوة... واستخراج الدقيق من سنابل القمح عن طريق الرحي اليدوية...ومواجهة الطقس البارد باعتماد البرنس " القشابية " التقليدية... ضمن صياغة درامية تجمع واقعا ورمزيا بين اللعب والصورة والحركة.

هذا العمل هو دعوة صريحة للتوقف عند نبض الزمن الجميل و استعراض الموروث المادي و اللامادي ضمن عادات وثقافة المجتمع بين الماضي والحاضر لتثمين مكتسباته التقليدية و دعم مجهود سليمة في تفاعلها الاجتماعي وقدرتها على مجارات الطبيعة لاسترجاع أخيها و تبيان أهمية المشاعر العائلية والتعاون الجماعي في مقاومة المخاطر.



لقطات من مسرحية سليمة والقلق اخراج محمد الصالح عروس

6-3-1-3-الأهداف البيداغوجية للعمل

يسعى مسرح الطفل إلى الموازنة بين جمالية الشكل وتعبيرية المضمون، ليؤثر على التفكير السليم والتربية الصحية والنفسية والجسدية وعلى الخيال وقدراته الذهنية.. لمساعدة الطفل على فهم الحياة والتكيف معها، وإثارة انتباهه ولفت اهتمامه للقيم والمعايير الاجتماعية والسلوكية.

فهذا العمل يتميز في مجمله بأحداث طريفة تغلب عليها سمات المرح والديناميكية الحركية والفضول والاكتشاف ضمن قالب مرئي يجمع بين المتعة والإثارة بحيث يجذب انتباه الطفل بصريا وحسيا مما يجعل أهدافه التربوية والفنية تتجه أساسا نحو تحسين ذائقة الطفل الفنية وتثمين الحكايات الشعبية بما فيها من شاعرية وذكريات وحنين إلى الماضي وحفاظ على الهوية. مثل هذه المميزات تساهم في تعليم الطفل مناهج السلوك القويم والقيم الإنسانية والأخلاقية، من خلال تثمين الثقافات والعادات السلوكية والانسانية بمحتوياتها ومعانيها وأبعادها وتناول تأثيرها في تمثين الحياة الاجتماعية وتوطيدها، إضافة إلى دفع الطفل لإدراك قيمة الأشكال الثقافية والاجتماعية في الحياة

اليومية ودورها في توطيد العلاقات الانسانية والأسرية والقيم الاخلاقية وفهم الذات والتفاعل مع الآخر، لدفع الأطفال والناشئة إلى التفكير في الاندماج مع الحياة والواقع وفهم العادات والتقاليد التي نشأنا عليها، خاصة وأن مثل هذه العلاقات يتم بناؤها اجتماعيا أو ثقافيا ويتم تنفيذها بواسطة عمليات رمزية ودلالية.

6-3-2- مسرحية العادات والتقاليد بين التنشئة الثقافية والتنشئة الاجتماعية:

إن الهدف الأساسي من مسرحية "سليمة والقلق" ليس تركيب نسخة مصغرة لعادات هذا العالم الخارجي على خشبة المسرح، ولكن أن نجد الحافز الذي يدفع بالجمهور لخلق سلسلة من الصور التخيلية، المرتبطة مع واقعه وموروثه الثقافي والاجتماعي وتقديمها ضمن رؤية تتجاوز المفردات المسرحية ذاتها إلى بناء متعة بصرية ذهنية يؤلف ضمنها المشاهد صوره وأفكاره وامتدادات عالمه الخيالي الذي يعد بمثابة المحرك الديناميكي للتطور الحاصل في الحدث وأفعال الشخصيات لتقديم وسط اجتماعي تفاعلي يتفاعل فيه المشاهد مع الآخر من خلال توظيف الخيال بقوى خفية وعناصر فانتازية مستمدة من الخرافات والحكايات الشعبية والعادات والتقاليد اليومية وهنا "لا يقتصر دور التنشئة الاجتماعية على نقل الموروث الثقافي ونقده .. وإنما يمتد الى مساعدة الفرد على تمحيص هذه المتغيرات أو البدائل الثقافية ونقدها وبيان ايجابيتها وسلبياتها، ومساعدته على فهمها والتكيف معها" (فهد، 1991، صفحة 43).

فالحكايات الشعبية والخرافية والخيالات والأحداث والشخصيات التاريخية والوقائع اليومية تعتبر مادة خصبة ينهل منها مسرح الطفل. هذا الثراء يشمل مختلف العناصر المسرحية، من لغة وأحداث وديكور وموسيقى وشخصيات، حيث يسمح المسرح بشخصنة أو أنسنة كائنات وظواهر حياتية وطبيعية وخيالية تدعياً للجانب الجمالي في المسرحية، في تفاعله مع الجانب الفكري، ليجول هذه العناصر إلى خطاب داخل عالم خيالي يحث المتلقي على الغوص عميقاً في اكتشاف وقراءة سعة التخيل فيما يحيط به من موجودات طبيعية وموروث فولكلوري وعادات حياتية واجتماعية بكل ما تحمله من دلالات مكتومة بوجهها البصري الدرامي.

ترتكز المقاربة الفنية لمسرحية "سليمة والقلق" على تضمين الصورة الركحية معاني التفاعل الاجتماعي والتنوع الثقافي، بما هي مراوحة بين الشكل الظاهر والمعنى الخفي وما تتضمنه من

أحداث ورموز ومعاني مستمدة من العادات والتقاليد اليومية محملة في النص وفي الأغاني وفي الحركة البصرية للفضاء والشخصيات، ليساعد ذلك على دفع طاقة إيجابية لدى المتلقي لدعم الشخصيات المحبة للتفاعل الاجتماعي بالرجوع إلى مشاركة العادات والتقاليد وإعادة استثمارها وإحيائها فوق الركح باعتبار أن "التنشئة الاجتماعية تتجسد في تمثل الفرد ثقافة مجتمعه، مما يساعد في نقل الفكر الثقافي من جيل إلى جيل، وبالتالي تخليد الحضارة أو سرمديتها".

فالفن المسرحي هو نظام و تناسق فني وفكري قائم على التناسب والتفاعل مع معطيات الواقع الذي نعيش فيه ليعيد العمل المسرحي بنائها وفق رؤية فنية وجمالية لها مدلولاتها الفكرية وقيمها الإبداعية في إطار كتابة ركحية تسعى للتوليد والتجسيد والخلق والإبداع لتعرض العمل ضمن سياق بصري يتكامل مع مقومات النص والرؤية الإخراجية وما يمكن أن تعكسه تفاعلاتها من وعي وإحساس بركائز وجماليات العرض المسرحي المفتوح على التأويل والاجتهاد اللامحدود من منطلقات الموروث البصري والشفوي في تقاطعه مع ثقافة ومعطيات فنون العصر وذلك بالرجوع إلى "دور التنشئة الاجتماعية في الأخذ بيد الفرد وإرشاده وتوجيهه في مواجهة المتغيرات والبدائل الثقافية".

تحملنا فكرة مسرحية "سليمة والقلق" نحو توجه فولكلوري شعري يستثمر طرق التعايش مع الطبيعة الفلاحية وما يرافقها من عادات اجتماعية وتقاليد ثقافية، باعتماد فاعلية الخيال وقدرته على تحويل الموروث المادي للواقع الاجتماعي والحياتي إلى شخصيات درامية مليئة بالعبارة والمغامرة والفرجة، ليكون النص نتاجاً لرؤية خيالة تنبثق من الواقع المعيش الذي نعي به ونحس بوجوده ولكن لا نستطيع التحاور معه إلا ضمن مثل هذه المقاربات الفنية التي تحيلنا إلى الواقعية الخيالية أو الواقعية العجائبية كتوجه فني مرجعي وكطريقة لمساءلة المجتمع والطبيعة والواقع والبيئة التي نعيش فيها عموماً، حيث "تلعب عوامل البيئة دوراً هاماً في نمو الفرد وتشكيل شخصيته وتحديد أنماط سلوكه" (فهد، 1991، صفحة 38) سواء كانت بيئة أسرية أو مدرسية أو اجتماعية أو طبيعية، خاصة وأن " للبيئة الطبيعية دوراً مهماً في نمو الإنسان وتشكيل شخصيته.. وتشكيل جانب من خلقه وطباعه .

فالرؤية الإخراجية لهذا العمل هي بالأساس معالجة مسرحية لتداخل العالم الطبيعي بالعالم الإنساني، العالم الفردي بالعالم الجماعي، العالم الواقعي بالعالم الخيالي، هي معالجة قائمة على

الجمع بين نشاط التخيل ونشاط المسرحية في إطار ثنائية الخيالي والواقعي، من خلال تسليط الضوء على الرؤى الخيالية والفانتازية التي تعطي مثل هذه الأعمال طابعا فريدا من الغموض والسحر الخاص، عبر تنافذ قصص التراث والشخصيات الرمزية وتقريبها كموضوعات عاملة على كشف بنية الواقع الأنّي العميقة بكل ما فيها من ارتباطات وعلاقات مادية وحسية، ليحضر الخيالي بما فيه من شخصيات فانتازية مستوحاة من القصص العالمية أو المحلية للأطفال، والواقعي من خلال نقد الواقع الاجتماعي والفكري والثقافي الذي يؤثر على فكر وحس طفل اليوم .

فهذا العمل يسعى إلى بناء صورة بصرية متوازنة من خلال البعد الدرامي في تفاعله مع الجانب التشكيلي والجمالي الذي تكتسبه مكونات العرض باعتبارها تساهم و بقوة في خلق التعبيرية البصرية والمتعة الحسية لدى المتلقي وهو بالضبط ما نحتاجه في مسرح الطفل الذي يبحث عن الإثارة البصرية بقدر ما يسعى إلى شد انتباه الطفل . هذه المتعة البصرية هي المساهم الأول في إبراز خصوصية مسرح الطفل وذلك لما يحتويه من عناصر تشكيلية قائمة عن طريق ارتكازه على جملة من الأشكال والألوان المنسجمة فيما بينها والتي تساهم في بناء صورة بسيطة ومثيرة تنمي المعرفة وتساهم في التنشئة وفي "تعويد الطفل على عادات وتقاليده مجتمعه" (العناني، 1999)



لقطات من مسرحية سليمة والقلق اخراج محمد الصالح عروس

6-3-3- ملامح نظريات التنشئة الاجتماعية في العرض:

ان نظريات التنشئة الاجتماعية هي مجموعة من العوامل والوسائل التي "توفر التوجيه اللازم لممارسة عملية التنشئة الاجتماعية.. كما توفر الإطار للنقد المنظم والتحسين المستمر" من خلال التفكير في مختلف مظاهر ومجالات هذه التنشئة لبناء نموذج لهذا الواقع بما يتناسب مع متغيرات

الجيل والمجتمع. وترتبط هذه النظريات بسلوكية التحليل النفسي وأهميته في بناء شخصية الفرد، كذلك بأولويات التعلم الاجتماعي التي يكتسب من خلالها الفرد أساليب المجتمع وثقافته التي تساعده على بناء ذاته والمشاركة في الحياة الاجتماعية، كما ترتبط أيضا بأهمية الدور الاجتماعي والمكانة التي يحتلها ومدى ارتباطها بالعلاقات والمواقف تجاه الآخر، إضافة إلى مختلف طرق التفاعل الرمزي مع مكونات الواقع خاصة بالرجوع إلى قدرة الفرد على التواصل من خلال الرموز لنختم بفكرة التعاقد الاجتماعي القائم أساسا على التفاعل والتبادل الإيجابي بين الأفراد. وسنحاول من خلال هذا البحث أن نتبين مختلف مظاهر هذه النظريات داخل مضمون العرض المسرحي "سليمة والقلق".

7-النوازع الذاتية في نظرية التحليل النفسي

ان التعامل مع الطفل باعتباره شخصية اجتماعية ينطلق أساسا من التعامل مع الفرد ذاته في إنسانيته وفردته وتشكل شخصيته بما تتضمنه من نوازع ورغبات ذاتية هي في حد ذاتها جزء من هذه الشخصية حيث "أن الأطفال بحسب هذه النظرية يولدون ولديهم من الدوافع الفطرية الغريزية ما يحفزهم ويستثيرهم للسلوك بطريقة معينة لأشباع غرائزهم" (فهد، 1991، صفحة 61) ورغباتهم بما هي ميولات فطرية تظهر لدى الفرد في صورة توجه تفضيلي سلوكي أو نفسي نحو أنشطة وأفعال وموضوعات وأفكار تمثل غاية في حد ذاتها، لتساعده التنشئة الاجتماعية على تنميتها وتدريبها واكتساب المهارات المرتبطة بها. وقد صور فرويد الطفل "بأنه ذو طبيعة مضادة لمتطلبات المجتمع وقوانينه وأنظمته.. ويمتلك من الغرائز والبواعث والدوافع ما يجعله أنانيا وذو طبيعة تخريبية" (فهد، 1991، صفحة 62) متناقضة مع متطلبات الحياة الاجتماعية .

يعمل مسرح الطفل من خلال الهدف السلوكي لنظرية التحليل النفسي على تكوين وصقل شخصية الطفل وعلى تنمية المهارات والقدرات من حيث الدوافع النفسية، ليحقق بذلك التكيف والانفتاح على العالم الخارجي، ويسهم في تحريره من القيود الاجتماعية فالمسرح يعتبر "من بين الوسائل التي تساعد الطفل على تنمية خياله وذاكرته، و تجعله أكثر اندماجا مع الحياة الواقعية بكل ما فيها" (قشوة، 2006، الصفحات 34-35)

ترتبط نظرية التحليل النفسي في التنشئة الاجتماعية بالنمو النفسي لشخصية الطفل باعتبارها عملية دينامية تشمل مختلف الصراعات، بين الرغبات الذاتية أو الدوافع الغريزية التي ترتبط في مرحلة أولى بالهوية الطفولية في حالتها الفطرية وفي انفصالها عن المجتمع والمحيط الذي تنتمي إليه، وبين الحاجات الضرورية للأنا الواعية في مرحلة ثانية، بانتمائها وظروفها وواجباتها التي تؤثر رغباتها بحسب المقبول والمرفوض، وبين متطلبات المجتمع بما هو الأنا الأعلى كمرحلة ثالثة تمثل القيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية التي تصبح في هذه المرحلة جزءا من الذات الإنسانية. هذا التدرج بين الهو والأنا والأنا الأعلى هو ما لمسه في تطور مسار الشخصية البطلة -سليمة- في المسرحية، بين الهو الطفولية التي تنزع في أول العرض نحو رغباتها الطفولية وميلها للعب مع صديقاتها متناسية مسؤولياتها، وبين الحاجة الضرورية والواجب الأسري والعاطفي الذي حفز فيها الأنا الواعية للاهتمام بأخيها الصغير، وبين متطلبات الضرورة الاجتماعية والأخلاقية التي تحفز فيها الأنا الأعلى وتدفعها لتحمل المسؤولية والبحث عن أخيها وإرجاعه إلى حضن العائلة.

لذلك يعتبر المسرح فاعلا سيكولوجيا ومؤثرا نفسيا في شخصية الطفل المتلقي، فهو من أبرز الوسائل الفنية التي يحقق من خلالها التواصل مع ذاته والآخر. فالمسرح يساعد الطفل على تجاوز العديد من السلوكات والغرائز الأنانية والسلبية التي تعيق تفاعلاته الاجتماعية، ليضفي عليه طابعا من الاستقرار النفسي و الذهني، الذي يساعده على الإشباع الحسي والفني و "ينمي في الأطفال الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية تجاه نفسه و الآخرون وتقوية العلاقات الاجتماعية" (العناني، 1999، صفحة 248).



لقطات من مسرحية سليمة والقلق اخراج محمد الصالح عروس

8- التراكمية المعرفية في نظرية التعلم الاجتماعي

تطالعنا في منظور التنشئة الاجتماعية منذ البدء نظرية التعلم الاجتماعي التي تحمل في طياتها معظم السلوكات الإنسانية المتعلمة أو المكتسبة من البيئة المعيشة حيث ترتبط نظرية التعلم الاجتماعي بالتجربة الاجتماعية التي تتضمن تعديلا في السلوك الناتج عن التفاعل الاجتماعي والممارسة الحياتية داخل المجتمع لتضفي إلى التعلم بمختلف أنواعه، فعملية التنشئة الاجتماعية هي "في جوهرها عملية تعلم وتعليم لأنها تعديل أو تغيير في السلوك نتيجة التعرض لخبرات وممارسات معينة" (فهد، 1991، صفحة 67) بما هي نوع من التراكمية المعرفية الناتجة عن التجربة والممارسة والتأثر بسلوك وتصرفات الآخر سواء من خلال التقليد أو التأثر أو الاقتداء، من منطلق أن التعلم هو بدوره عملية اجتماعية "يكتسب من خلالها الفرد طرق إشباع دوافعه أو يصل عن طريقها إلى تحقيق أهدافه" (خواجه، 2005) .

ويعد المسرح عامة ومسرح الطفل خاصة وسيلة معرفية بيداغوجية تساعد على التعلم والتفاعل بين الأفراد وتحصيل المعرفة الثقافية والتنشئة الاجتماعية للتأثير وإحداث التغيير في المجتمع وذلك من خلال تعزيز الحوار الاجتماعي والخطابي الذي يلامس محاور اجتماعية مختلفة يحتضنها العرض ضمن شفرات قابلة للقراءة والفهم والتأويل مما يساعد على تنقيف المجتمع وإثراء شخصيات وعقليات أفرادها. وترتكز نظرية التعلم الاجتماعي على أربعة مراحل كان لها حضورها داخل المسار الزمني للعرض وهي الانتباه، الاحتفاظ وإعادة الانتاج والدافعية (فهد، 1991، صفحة 68)

تعتبر مرحلة الانتباه والإصغاء والتحفيز من الغايات الأساسية للفرجة المسرحية عموما حيث تثير ملكات الطفل الإدراكية وتحفزها نحو التركيز الذهني والبصري من خلال مجموعة من التقنيات الركحية التي تثير انتباه الطفل المتفرج إلى العرض، "إذ يعد الانتباه شرطا أساسيا لحدوث عملية التعلم" وهنا نلاحظ تركيز العمل على إثارة الانتباه الذهني والبصري من خلال الجمالية البصرية للفضاء وأسلوب تشكيل الشخصيات إضافة إلى المروحة بين ألوان فنية متكاملة فيما بينها مثل الرقص والغناء والإلقاء الشعري هذا بالإضافة إلى الانتباه المضاعف من خلال تماهي الأطفال مع شخصية البطلة التي بدورها أولت اهتماما وانتباها وتركيزا لما قدم لها من معلومات ومعطيات ستستعين بها لاحقا لتحدث هنا عن الانتباه إلى عملية الانتباه ذاتها المتجسدة على الركح.

أما مرحلة الاحتفاظ فترتبط أساسا بالتمثل والاستحضار الذهني للمواقف والأحداث و"تمثلها في ذاكرة المتعلم الملاحظ والاحتفاظ بها هناك في شكل رموز أو عبرة أو فائدة وقد كانت مسرحية "سليمة والقلق" مليئة بالعبر المتعلقة أساسا بالمعرفة المكتسبة من العادات والتقاليد الاجتماعية والبيئية التي تشكل أساس العلاقات الانسانية لتتعلم معها تقنيات تجميع الزيتون بالطريقة التقليدية وطريقة صناعة الزبدة باستعمال الشكوة التقليدية وكيفية استخراج الدقيق من سنابل القمح باعتماد الرحى اليدوية ضمن صياغة درامية تجمع واقعا ورمزيا بين اللعب والصورة والحركة والعبرة، ليكون الاحتفاظ هنا مهاريا ومعرفيا وسلوكيا.

لننتقل إلى مرحلة إعادة الانتاج "وفيها يوجه الترميز اللفظي والبصري في الذاكرة، الأداء الحقيقي للسلوكات المكتسبة حديثا" (فهد، 1991، صفحة 68) وذلك من خلال استثمار المعارف والمهارات المكتسبة في مواجهة متطلبات الحياة، كاستثمار القيم الرمزية والانسانية والتراثية والغذائية في مواجهة قساوة البرد المجسدة في شخصية سيدي البارد الذي سرق أخ سليمة ليعيد العرض انتاج هذه القيم الرمزية والفوائد والمهارات المكتسبة سواء من شخصية الزيتون أو الفمحة أو الحليب وتحويلها إلى أداة مواجهة ذكية باعتبار القيمة الغذائية والصحية لهذه العناصر التي تساعد على تحصيل القوة البدنية والذهنية لمواجهة برودة جبال الثلج، فإعادة الانتاج هنا هي قيم مكتسبة تستفيد منها الشخصيات ليتعلم الطفل احيائيا كيفية استثمارها في واقعه المعيشي.

أما مرحلة الدافعية فترتبط أساسا بتنشئين النتيجة ايجابيا وتحصيل العبرة والفائدة " وفي هذا الأمر تتشابه نظرية التعلم الاجتماعي مع نظرية الاشراف الاجرائي، فكليهما يعترف بأهمية التعزيز والعقاب في تشكيل السلوك واستمراريته" (فهد، 1991، صفحة 69) وهي عوامل تؤثر على دافعية التعلم والرغبة في الاقبال على العبرة والمعرفة وتنشئين عملية التعلم التي برزت في العرض في أكثر من صورة، فضياع الاخ أو اختطافه هو النتيجة العقابية لإهمال البطلة لمسؤولياتها والتزاماتها العائلية، خاصة وأن والدتها أكدت عليها عدم ترك أخيها بمفرده، وهو جزء من التعلم. ومن جهة اخرى فإن كل الشخصيات التي التقت بها سليمة اشترطت المساعدة أو بالأحرى التعلم كشرط إجرائي مقابل تقديم العون، ليدعم هذا العرض العبرة والفائدة من خلال تنشئين كل شخصية وكل دافع، كما أن

نجاح سليمة في استرجاع أخيها هي المكافئة التي حصلت عليها وقد ثمنت ذلك بإعطاء هدية كبدل هو تامين لعمل المجموعة وللتفاعل الايجابي بينهم.

وبذلك فإن تركية الذاكرة الذهنية والبصرية ضمن منظومة التعلم الاجتماعي للطفل تعمل بالأساس على تخزين الأفعال و الأقوال حيث "أن ما يكتسبه الفرد الملاحظ ما هو إلا تمثيل رمزي للأفعال أو لنماذج الأفعال و ما يتعلمه الإنسان يختزن في الذاكرة بشفرة معينة لكي يستخدم كمرشد أو موجه في السلوك المستقبلي (فهد، 1991، صفحة 69)". فالفعل التحفيزي الذي برز في أجزاء مختلفة من العرض اتسم بالدافعية التي تدفع الطفل للتعلم المستديم من المجتمع ولتنشئة نفسه من خلال التجارب الحياتية البسيطة واليومية.

9-التفاعلات الاجتماعية والارتباطات العاطفية في نظرية الدور الاجتماعي

تهتم التنشئة الاجتماعية بمكانة الدور الاجتماعي باعتباره محصلة ظروف نفسية واجتماعية تحدد "نمط السلوك الذي يتوقعه الآخرون من شخص يحتل مركزا اجتماعيا معيناً خلال تفاعله مع أشخاص يشغلون هم الآخرون أوضاعاً اجتماعية أخرى" (خواجة، 2005، صفحة 78)، فالدور الاجتماعي هو ارتباط جماعي وعاطفي يساهم في التعلم الاجتماعي ويتضمن مختلف الأفعال والسلوكيات التي تتقبلها المجموعة في ضوء تنوع المستويات الثقافية السائدة، ليشكل تمثالات السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة، وأيضاً الجانب الحيوي الذي يجمع إلى جانب العناصر الفيزيائية، المجال الاجتماعي والمجال النفسي (بدوي، 1996).

إن تقسيم المهام في إطار النظام الاجتماعي يؤدي إلى تعدد الأدوار واختلافها وتباينها، ليكتسب الطفل أدواراً اجتماعية مختلفة عن طريق العلاقات التفاعلية التي يؤسسها مع محيطه وما يمثله هذا المحيط من نموذج يمكن له أن يقتدي به ويساهم في تطوير ذاته وتحقيق التنشئة والتفاعل الاجتماعي الايجابي ليتعلم دوره من خلال تفاعله مع محيطه الاجتماعي والعائلي ومدى ارتباطه العاطفي و تأثره به، فالدور هو "تصور لسلوك يرتبط بشخص معين وبصفة من صفاته الشخصية، لأنه تعبير عن سماته الفردية (المرعي، 1987)، وفي سياق آخر يعتبر الدور "مجموعة من القيم والمعايير التي تحدد السلوك المنتظر من شخص معين استناداً إلى سماته الشخصية وخصائصه

الفردية" (المرعي، 1987، صفحة 64)، وهو ما يساهم في تثمين دور الفرد في تحقيق البناء الاجتماعي والحفاظ على القيم والمعايير الاجتماعية "وهي عبارة عن توقعات مشتركة يتقاسمها أفراد النظام الاجتماعي الواحد وتحدد أنماط السلوك المناسب أو المقبول بالنسبة لموقف اجتماعي معين (فهد، 1991، صفحة 76) وبالتالي فإن كل فرد يحدد دوره من خلال مركزه الاجتماعي الذي يتناسب مع أدائه ومهامه ودوره وسط المجموعة.

إن عملية اكتساب الأدوار الاجتماعية ليست مسألة معرفية فقط بل هي ارتباط عاطفي يوفر عوامل التعلم الاجتماعي، ويتم اكتساب الأدوار الاجتماعية من خلال ثلاثة طرق هي: التعاطف مع الأفراد، والبحث في دوافع وبواعث التعلم والإحساس بالأمن والطمأنينة (الشاوي، صفحة 64) وهي طرق تظهرت في عرض "سليمة والقلق" بتمثيلات مختلفة ثمنت الدور الاجتماعي ومكانته داخل المجموعة، ليتجلى التعاطف في تفاعله مع الدور الاجتماعي من خلال تعاطف سليمة مع أخيها الصغير في مرحلة أولى، حيث تأثرت منذ بداية العرض باختفاء أخيها وأبدت تعاطفها وتفاعلها معه، كما تعاطفت الشخصيات المساعدة وحتى الشخصيات الساردة للحدث مع الفتاة وحاولت مساعدتها بطرق مباشرة وغير مباشرة، هذا إضافة إلى تعاطف الجمهور معها من خلال مسار الحبكة الدرامية وخصوصية الأداء وتأثيره العاطفي على المتلقي. أما عن دوافع وبواعث الفعل فقد ارتبطت أساسا بالروابط الأسرية والعائلية بما هي دوافع أساسية لاكتساب دور الأخت الحامية المسؤولة والشجاعة. في حين سعت الشخصيات الصديقة والمساعدة التي وفرتها عناصر الطبيعة، إلى توفير الإحساس بالأمان والطمأنينة كداعم نفسي وعاطفي وجسدي ساعد الفتاة سليمة على تخطي رحلة البحث بنجاح.



لقطات من مسرحية سليمة والقلق إخراج محمد الصالح عروس

وهنا لا يمكن التحدث عن الدور الاجتماعي في العمل المسرحي دون ربطه بالدور المسرحي ذاته باعتبار ان الشخصية في المسرح هي شخصية اجتماعية بالأساس وأن الممثل يشخص الدور باعتباره صفة اجتماعية وذاتية، فمن خلال الدور تتمكن الشخصية المسرحية من التحكم في أدواتها الإبداعية والسيطرة الأدائية على التجسيد العضوي للشخصية. فالدور المسرحي كالدور الاجتماعي يحدده سلوك الشخصية في تفاعلها مع المواقف الدرامية حسب ما تفرضه شبكة العلاقات الاجتماعية والسلوكية والنفسية داخل العرض.

يعتمد الدور المسرحي على بلاغة الأداء التمثيلي في اكتشاف المسار الدرامي للشخصية وتحديد دوافعها وعلاقاتها، كما يعتمد أيضا على قدرة الممثل على تحقيق التوازن والتناغم بين مختلف أبعاد الشخصية السيكولوجية والفيزيولوجية وموقع الدور والمكانة الاجتماعية في تحقيق بنية الحدث الدرامي، حيث يسعى الممثل إلى بناء الدور من خلال التفاعل الصادق بين الكيان الداخلي للشخصية ومظهرها الخارجي اعتمادا على التعبير الجسدي والصوتي عبر مختلف مستوياتها الشعورية التي تساعد على تشكيل المواقف الدرامية للعرض "فالأفعال الخارجية والتشيكالات الحركية والمجموعات تبقى شكلية وجافة وغير ضرورية لنا على خشبة إذا لم يتم تبريرها من الداخل (ستتسلافسكي، 1997)

فالدور يركز على طبيعة تصور أداء الممثل المسرحي لمعمارية بناء الشخصية في خصائصها الفردية وعلاقاتها الجماعية التي ترتبط أساسا بالانتماء الواقعي حيث يدعو ستانيسلافسكي إلى "أن نستخدم الرافعة داخل أنفسنا لننتقلنا إلى مجال الحياة المتخيلة، ولنخلق ثمة ابتداءنا المشابه للواقع (ستتسلافسكي، 1997، صفحة 257) ليربط الدور المسرحي بالذات الفردية وانتمائها الاجتماعي من خلال التجربة الحياتية والمشاعر المعاشة في الواقع التي تمكن الممثل من أن يجسد الدور بمصادقية تعتمد على نظرية الذاكرة الانفعالية (ستتسلافسكي، 1997، صفحة 318).

فالمسرح كفرجة أو كممارسة ليس مجرد وسيلة استمتاعية ترفيهية بقدر ما هو طريقة يستنبط منها الطفل معاني أساسية في مختلف المواقف الحياتية التي تواجهه حيث يربط عاطفيا ورمزيا بين الدور المسرحي والدور الاجتماعي سواء لنفسه أو لعلاقاته مع الآخر، إضافة إلى كونه وسيلة تعليمية

تكسبه مختلف المهارات العقلية والاجتماعية والفنية والحركية من خلال اللعب والتفاعل الجماعي، حيث يبدأ الطفل في تكوين صداقات حميمة، ويظهر مهارات في قبول التناوب على الأدوار ويكون أكثر قدرة على الالتزام بالنظام الذي يفرضه الدور داخل المجموعة ف"عندما تقتربون في الفن من صدق الاطفال وايمانهم بهذا الصدق وهم يلعبون، عندئذ سيكون في استطاعتكم ان تصبحوا من كبار الفنانين (ستنسلافسكي، 1997، صفحة 261).

10- الفاعلية التواصلية لنظرية التفاعل الرمزي بين اللفظي والبصري

ترتبط نظرية التفاعل الرمزي بعملية التنشئة سواء على المستوى الفكري التأويلي أو الاجتماعي التواصلية أو التثقيفي المعرفي من منطلق "قدرة الانسان على الاتصال من خلال الرموز، وقدرته على تحميلها معان وأفكار ومعلومات" (همشري، صفحة 68) ترقى بالفكر الانساني نحو تطوير سلوكياته وطرق تفكيره وتأسيس علاقاته الاجتماعية حيث "ترتكز هذه النظرية على أهمية التواصل الرمزي واللغة في عمليات التفاعل الاجتماعي وتكوين مفهوم الذات لدى الطفل .

فالإدراكات المباشرة للواقع الاجتماعي تمر ضرورة بخارطة ادراكية مشفرة تتغذى على الوعي الثقافي والاجتماعي ليشكل التفاعل الرمزي نوعا من التحيز الدلالي الذي يفتح أفق المعنى باعتبار أن "الحقيقة الاجتماعية هي حقيقة عقلية تقوم على التخيل والتصور أكثر مما تقوم على التمثل الواقعي الذي يصبح أحيانا موجها مباشرا وسطحيا يغفل عن العمق الدلالي لحقيقة الأشياء .

وتبرز أهمية التواصل الرمزي في عمليات التفاعل الاجتماعي من خلال العرض المسرحي ومقارباته الدلالية والرمزية التي تنطلق من النص، باعتبار أن اللغة هي ابرز علامة رمزية، وصولا على الصورة البصرية بما تحمله من ايقونات وعلامات تتشكل عبر تجسيد لفاعلية الزمان والمكان والحدث، كعالم مصغر مواز للعالم الواقعي، ينقل للطفل آليات التفاعل الاجتماعي والسلوكي ضمن تجارب رمزية ايحائية مبسطة، تأثر وتثير الوعي الجمالي والادراكي.

تعتبر اللغة "عاملا مهما في تحقيق وخلق وتنمية الشخصية الاجتماعية (عفيفي، القاهرة ، مصر 1998) حيث تعزز اللغة واللهجة الرسالة اللسانية وتدعم حضورها وتفاعلها مع ذهن المتلقي فهي"نص ككل النصوص تتحد باعتبارها تنظيما خاصا لوحداث دلالية متجالية من خلال أشياء أو

سلوكات أو كائنات في أوضاع متنوعة." (بنكراد، 1996) وقد تضمن النص في عرض سليمة والقلق دعوة لبناء نمط حكاوي تتداخل فيه المكونات البصرية للطبيعة لتتحول إلى شخصيات فاعلة تجسد الاحداث و تبني أطرا فكرية تلامس عبق المكان و خرافاته ضمن توليفة تحتضن الطبيعة كمجال تشارك اجتماعي لتبين رمزية خيالاتها و ثراء مخزونها البصري وقدرتها على تحقيق التعايش الاجتماعي المتكامل، لتتحول اللغة إلى "مجموعة من الصور الذهنية المجردة عند كل أفراد المجتمع". هذا بالإضافة إلى توجه العرض نحو استرجاع المخزون الثقافي للهجة المحلية لسكان الشمال الغربي التونسي من خلال اعتماد اللهجة العامية الموزونة سواء في النص أو في أغاني من الذاكرة الشعبية الموظفة في العرض (نني نني جاك النوم - دز شكيوة دز) ، لتتخذ المفردات إيقاعا طريفا يغازل أذن الطفل و يحدد أهمية المحكي كأحداث تتدافع لتصل خط النهاية وكشخصيات تشحن الفضاء غناء لا يتوانى عن كشف و بناء النشاط الحركي والإيقاعي للعرض.

أما على المستوى البصري فقد تعامل العرض مع العناصر التراثية بوصفها رموزا لها دلالتها في الوجدان الشعبي من أجل إيصال خطاب يعبر عن هذه الدلالة ليصبح توظيف التراث بمثابة تدوين للذاكرة وخصوصية جمالية وحماية من الاندثار وحفاظ كامل عليها. فأهمية التراث الثقافي وتأثيره الاجتماعي لا تكمن في تمظهره المادي والواقعي بحد ذاته وإنما في المعارف والمهارات الغنية التي تتقل عبره من جيل إلى آخر، وفي الوعي الجمالي بأهميتها وتأثيرها على الفرد من خلال " القدرة على التذوق أو الشعور أو الانتباه الى القيمة الجمالية أو الكيفية الجمالية التي توجد في شيء ما" (ابراهيم، 2002، صفحة 14).

إن قراءة واستلهام الموروث والعادات بما فيها من أشكال ومظاهر، تحقق للعرض خصوصية تنفرد بها في إطار البحث عن الوسائل التي تخصص شكلا يستثمر الظواهر الجوهرية في الحياة الإنسانية مستبعدا ما هو شكلي أو سطحي مركزا على مقومات تفرزها موروثات وثقافة الحياة، ضمن مقاربة تدعونا إلى التفكير في خلق تصورات جديدة لبلاغة الصورة ولجماليات الخطاب البصري الذي يقوي أواصر التفاعل الاجتماعي والانساني في ضوء مستحدثات تكنولوجيا الصورة. ففي هذا العمل لا يمكن التعامل مع منتجات الفنون البصرية على أنها مستنسخات من الواقع، إنما "هي إبداع وخلق بقدر ما يتوافر على عناصر التشابه والتماثل يتوافر على عناصر الاختلاف والتمايز (رواينية،

(2007) هذا ما يعطي العمل الفني قدرته على تحقيق التفاعل الرمزي والتواصل الفكري والدلالي الذي يسهم بدوره في تحقيق التنشئة الثقافية والاجتماعية. فلسيمة والقلق هو عمل مسرحي يسعى لتحويل الموروث اليومي والثقافي والأفكار والأحداث والشخصيات والعلاقات الى رموز تنثري البناء الدرامي والجمالي للعرض كما تحفز المتلقي للتفاعل والتأثر وأخذ العبرة الايجابية التي تبدأ من الأفراد وسلوكهم كمدخل إيحائي لفهم النسق الاجتماعي وربطه بالنسق الرمزي الذي يتميز به الانسان، وذلك من خلال تفاعل العناصر الرمزية المتجسدة في العرض عبر اللغة، والمعاني، والصور الذهنية والواقعية وتحميلها معان وأفكار ومعلومات يمكن نقلها واستثمارها معرفيا وثقافيا واجتماعيا، باعتبار ان استعمال الرموز والعلامات هو في حد ذاته جزء من عملية التواصل والتعايش الثقافي والاجتماعي.

11- الفائدة المتبادلة ضمن نظرية التعاهد الاجتماعي

تشير نظرية التعاهد الاجتماعي إلى ما هو متفق عليه جماعيا، وفق الميثاق الاخلاقي والسلوكي للمجتمع الذي يقوم على التبادل النفعي للمعارف والمهارات والثقافات، وهو تبادل نفسي سلوكي اجتماعي، أكثر منه مادي "بمعنى أن الطرف الذي يعطي يتوقع مقابلا لهذا العطاء (همشري، صفحة 79)" بما هو بالأساس تنمين للفعل والإقدام والمهارة المكتسبة. ويرتكز التعاهد الاجتماعي على النشاط والتعاون المتبادل كركيزة أساسية لبناء العلاقات الاجتماعية، ف"التعاهد الاجتماعي المتبادل هو أساس التفاعل الاجتماعي الذي يقوم على تعاهد ضمني أو صريح بين اطراف هذا التفاعل" القائم على مجموعة من العلاقات التقابلية، المباشرة وغير مباشرة، والتي تسعى لتنمية مهارات ومعارف الفرد من خلال علاقاته الاجتماعية والانطباع الذي يتركه عند الآخر. فكأننا هنا أمام ميثاق اخلاقي واجتماعي وسلوكي "يشتمل ضمنا على ذلك العهد الذي يمكنه وحده أن يمنح الآخرين قوة (روسو، 2013) وثقة وقدرة قائمة أساسا على بناء العلاقات على الفائدة المتبادلة، أي ما لك وما عليك تجاه المجموعة "ذلك أن الميثاق الاجتماعي يجعل بين المواطنين من المساواة ما يلزمون أنفسهم معه بذات الشروط وما يجب أن يتمتعوا معه بذات الحقوق (روسو، 2013، صفحة 59) وهو ما يقوي عند الفرد الحس بالمسؤولية وبالواجب والمهام الموكلة إليه بين

اكتساب الدور الاجتماعي وتثمين الفعل الايجابي،"انها العملية القائمة على التفاعل الاجتماعي التي يكتسب فيها الطفل اساليب السلوك والقيم المتعارف عليها ومعاييرها في جماعته، بحيث يستطيع أن يعيش فيها ويتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح (همشري، صفحة 22) .

وقد سعت مسرحية سليمة والقلق إلى تفعيل حضور التعاهد الاجتماعي من خلال مقاربات اخلاقية ترتبط أساسا بتعاهد سليمة مع والديها برعاية أخيها وفيه تعليم الطفل تحمل المسؤولية العائلية والالتزام بها، كذلك من خلال مقاربات مهارية وحرفية تجسدت في تعاهد سليمة مع عناصر الطبيعة على تقديم المساعدة المتبادلة التي تمكنها من ناحية من اكتساب المعرفة وتعلم العادات الاجتماعية والتقاليد اليومية الأساسية التي بدأت في الاندثار تدريجيا، ومن ناحية أخرى هي تساعد هذه الشخصيات الرمزية التي تعتمد بطبعها على المساعدة البشرية، سواء من خلال تخفيف الحمل عن أغصان شجرة الزيتون، أو مساعدة السيدة حليلة على درجة الشكوة ورجها لاستخراج القشدة، أو تسهيل عملية تدوير الرحي اليدوية لطحن حبات القمح الجافة، وهي كلها معارف ثمينة بصفة مباشرة كعادات وتقاليد حياتية نابعة من الطبيعة ، وبصفة رمزية إيحائية كأفعال انسانية قائمة على تبادل المهارات وتقديم المساعدة وتثمين ايجابية السلوك الانساني والنسق التأزري بين الأفراد.

12-استنتاجات البحث

يكتسب مسرح الطفل من خلال سماته الجمالية ورهاناته الاجتماعية مكانة هامة في تنمية شخصية الطفل وتنشئتها ، ورفع قدرته على التعامل مع ذاته ومع محيطه، ليفتح للطفل أفق التعايش والاصغاء والتمعن والتركيز والانتباه والتحاور بما يكتسبه من ألفاظ ومفردات كلامية ووصفية وحركية وبصرية يوظفها للتعبير عن ذاته لتثري خياله الجمالي وتؤسس واقعه وتفاعله الاجتماعي.

فالمسرح كممارسة وكفرجة هو رهان أساسي يسعى إلى تقوية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ودعم تنشئة الطفل في بعديها الثقافي والاجتماعي كلمحة عن الحياة الذاتية والجماعية وكفعل ديناميكي متحول يستند إلى البعد التربوي والسيكولوجي والاخلاقي والعلائقي كمسارات اثتلافية ترافق تشكل شخصية الفرد.

وقد وجدنا في مسرحية "سليمة والقلق" طرحا يلامس مختلف هذه الخصائص سواء من حيث التفاعل والعلاقات الاجتماعية أو ضروريات المسار الحياتي، أو الانتماء البيئي والمحيطي، لي طرح العمل مجموعة من القيم التربوية والأخلاقية والتعليمية التي تساهم في تنمية الطفل فكريا واجتماعيا وتراثيا على نحو نابض بالحياة من خلال تثمين الثقافات والعادات السلوكية والانسانية والتركيز على تأثيرها في تمتين الحياة الاجتماعية وتوطيدها، إضافة إلى دفع الطفل لإدراك قيمة الأشكال الثقافية والاجتماعية في الحياة اليومية ودورها في توطيد العلاقات الانسانية والأسرية والقيم الاخلاقية وفهم الذات والتفاعل مع الآخر. وقد حاولنا تأكيد هذه العلاقات بالرجوع إلى نظريات التنشئة الاجتماعية سواء على مستوى التعلم الاجتماعي وتفاعلاته المعرفية والثقافية والمهارية، أو في مقاربتها السيكلوجية بالرجوع إلى التحليل النفسي ودوره في التنشئة الاجتماعية وتأثيره على نمو الشخصية وقيمها الاخلاقية والسلوكية، أو من خلال تثمين المكانة الاجتماعية داخل المجموعة والتركيز على نظرية الدور الاجتماعي بما و ارتباط عاطفي يوفر عوامل التعلم الاجتماعي ومقاربتة مع الدور المسرحي باعتبار ان الشخصية في المسرح هي شخصية اجتماعية بالأساس .

كما ارتبطت التنشئة الاجتماعية والثقافية بنظرية التفاعل الرمزي سواء على المستوى الفكري التأويلي أو الاجتماعي التواصلية أو التثقيفي المعرفي، لدفع الأطفال والناشئة إلى التفكير في الاندماج مع الحياة والواقع وفهم العادات والتقاليد التي نشأنا عليها، خاصة وأن مثل هذه العلاقات يتم بناؤها اجتماعيا أو ثقافيا ويتم تنفيذها بواسطة عمليات رمزية ودلالية. لنختتم بأهمية التعاقد الاجتماعي في تثمين القيمة الانسانية وارتكازه أساسا على النشاط والتعاون المتبادل كركيزة أساسية لبناء العلاقات الاجتماعية.

13- قائمة المصادر والمراجع

1. الشاوي، إ. 3 (s.d.). Consulté le 26, sur <https://www.psyco-2022.dz.info/2017/12/pdf.html>
2. العناني، ح. ع. (1999). *الراما و المسرح في تعليم الطفل*. الأردن : دار الفكر و النشر والتوزيع.
3. المرعي، ت. (1987). *الميسر في علم النفس الاجتماعي*. الأردن: دار الفرقتن.

4. بدوي، ا. ز. (1996). معجم المصطلحات في العلوم الاجتماعية. (éd. 08) لبنان.
5. بنكراد، س. (1996). الإشهارية و التوليد و التأويل مجلة علامات. (05), p. 59.
6. جون، ك. ه. (2015). الإبداع و التربية الإبداعية. العربي. (678), p. 174.
7. حاجي، ص. (1999-2000). تاريخ الفكر البيداغوجي القومي. المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر.
8. حاجي، ص. (2000). تاريخ الفكر البيداغوجي. المركز العربي القومي البيداغوجي المعهد الأعلى للتربية و التكوين المستمر.
9. خواجة، ع. ا. (2005). مبادئ التنشئة الاجتماعية. وهران الجزائر: دار الغرب و التوزيع.
10. رواينية، ا. (2007). سيميائيات التواصل الفني مجلة عالم الفكر. (03), p. 274.
11. روسو، ج. ج. (2013). العقد الاجتماعي. ع. ز عيتر (Trad., مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة).
12. سنتسلافسكي، ك. (1997). اعداد الممثل في المعاناة الابداعية). ا. ا. للكتاب & Éd., ش.
13. عففي، ع. ا. القاهرة ، مصر 1998. (الأسرة و الطفولة ، أسس نظرية مجالات تطبيقية . مكتبة عين شمس).
14. فهد، ا. ع. (1991). مدخل الى نظريات الشخصية نظريات باندورا في التعليم الاجتماعي (Vol. 2). دار الحارثي للطباعة و النشر.
15. قاموس. (1958). القاموس الشامل لعلم النفس و مصطلحات التحليل النفسي. (éd. 13). لندن: دار لغماس.
16. قشوة، س. (2006). مسرح الطفل الحديث. دمشق سوريا: دار الفرقد للتوزيع.
17. ماري إلياس. (1971). مفاهيم و مصطلحات المسرح و فنون العرض (الإصدار 1). بيروت لبنان: مكتبة لبنان.
18. مغلي، ل. ن. (2008). الدراما و المسرح و الموسيقى في التعليم. عمان الأردن: دار الراية للنشر.
19. همشري، ع. أ. (s.d.). التنشئة الاجتماعية للطفل .
20. وفاء ابراهيم. (2002). الوعي الجمالي عند الطفل. الإسكندرية ، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.